وقائع مهرجان بلد في أعزاز

2024

وقائع مهرجان بلد في أعزاز

فريق العمل

إعداد

أنس الراوي

سيسيليا حراتوق

كرم داروخ

مراجعة وتقديم

هيثم الحنت

تدقيق لغوي

محمود السيد عمر

تصميم

عقبة حدبة

صور المهرجان

مكتب أعزاز الإعلامي

أعزاز 2024

صدر هذا الكتاب عن مبادرة **مهرجان بلد** بالتعاون مع

وحدة المجالس المحلية

مركز هوز للتطوير المجتمعي

ومع

عريفة الموسى
ناشطة مدنية من مدينة سراقب

محمد دربالة
مدير المركز الثقافي العربي في مدينة أعزاز

محمد ظافر زعموط
مختار الحي الشمالي في مدينة أعزاز

إلهام عاشور
ناشطة من مدينة أعزاز

سيسيليا حراتوق
فاعلة في المجتمع المدني

علاء قاسم
إعلامي وباحث في مركز الشرق الأوسط من مدينة أعزاز

أحمد الناصر
ناشط مدني من مدينةأعزاز

عبدالله حامض
ناشط مدني من محافظة إدلب

المحتويات

المقدمة 1

المهرجان عبر الأنشطة والفعاليات 4

المهرجان عبر قصص الزوار 8

- قصة شهد 8
- العدالة المكانية 10
- أبو صطيف الموَجّبْ 11

أنواع التراث 13

- التراث الفني 13
  - العراضة الحمصية 14
  - العراضة الشامية 16
  - القدود الحلبية 18
  - الموليا الديرية 19
  - الموليا السراقبية 21
  - الحكواتي 23
- المطبخ الشعبي 25
  - الشعيبيات 25
  - البرازق 27
  - المضفورة الحمصية 28
- المهن التراثية 30
  - صناعة المكانس 30
  - التنجيد 32
  - سن السكاكين 33
  - صناعة سلالم الزيتون 34
  - الإسكافي 36
  - خبز التنور 37

تقييم التجربة 39

المقدمة

موعدنا في السنة القادمة

يجدر بالسطور التالية أن تكون مقدمة لهذه اليوميات التي تغطي مهرجان بلد، وتكون على ذلك تلخيصاً لما سيأتي من محتوياتها والدوافع التي حدت بالمنظمين لكتابتها وما يمكن استخلاصه من التجربة، لكن أن يُكتب عن مهرجان سوري في المناطق المحررة يأخذ أبعاداً متنوعة ومركبة، ترتبط في جزء منها بمعنى ولادة مهرجان في هذه المناطق، وما يمكن أن يعنيه للمنظمين والجماعات المحلية التي ينطلق من تراثها ليقدمه لها، كذلك يتصل بحقوقهم في التجمع وإعادة إحياء التراث والتفكير فيه وتطويره، فالتراث وفق ما يقال "يشكلنا بقدر ما نشكله".

كان يمكن لدعوة مطبوعة لحضور مهرجان بلد أن تقول التالي: "بتاريخ كذا سكان مدينة أعزاز التي صارت تمثل سوريا بتنوعها، على موعد مع مهرجان يقدم ما يعرفونه بكل تأكيد، لكن أن تجمع كل تلك المعارف الموروثة ضمن احتفال شعبي لابتكار طقوس تحتفل بها، فذلك ما لم يعرفوه في السابق، أو تعرفه المناطق الطرفية بأن تكون على تلك المسافة من المنظمين والبرنامج الذي عملوا عليه، وقد جاء ضمن مشروع وحدة المجالس المحلية الذي هدف إلى تعزيز التماسك المجتمعي وبناء السلام، من خلال العمل مع ثلاث مبادرات مجتمعية محلية في مدن إدلب وعفرين وأعزاز، والأخيرة عملت على تصميم وتنفيذ مشروع مهرجان بلد بهدف تعزيز التماسك المجتمعي من خلال إحياء التراث اللامادي وتعزيز التواصل بين المكونات المجتمعية، وتوفير مساحات للممارسات الثقافية في مدينة أعزاز".

"ضمت المبادرة كادراً متنوعاً من حيث الأصول العرقية والمجتمعات المهجرة والمقيمة، وعمل فيه نساء ورجال فاعلون مستقلون أو في منظمات المجتمع المدني وممثلون عن بنى مجتمعية محلية ومساهمات مادية وعينية من فريق سوريانا الأمل وفريق أزرق وفريق شباب أعزاز، وقد انعكس هذا التنوع ضمن كادر المبادرة على نهجي التصميم والتنفيذ، حيث شملت عملية التصميم ورشات عمل وجلسات حوارية مع أصحاب المصلحة، وجلسات تنسيق وتشبيك مع الفعاليات المدنية ومؤسسات الحكم المحلي والروابط المجتمعية، وشملت عملية التنفيذ إشراك خمس مجتمعات سورية مهجرة ومقيمة في مدينة أعزاز: (مجتمع ريف دمشق، مجتمع حمص، مجتمع دير الزور، مجتمع إدلب، مجتمع حلب)، وكان تحديد هذه المجتمعات مستندًا إلى وجود

ورابط أهلية تمثيلية للمجتمع، وقدرة المبادرة على الوصول إلى الموارد الثقافية له".

كان يمكن لكل ذلك أن يرد في دعوة مطبوعة لحضور مهرجان بلد، أو في تغطية تقليدية لوقائع المهرجان وأنشطته، لكنّ الدعوة إلى "عيش الفرح مع التراث في مهرجان" تغني عن كل ذلك، لأن إحياء مهرجان في المناطق المحررة يعني أولاً إدارة الحياة رغم كل شيء؛ فأن تحتفل الناس في مكان ناج من التدمير والقتل، والمجموعات التي تعيش فيه هاربة من مناطق ومشارب متعددة دمرتها آلة الحرب الأسدية، يعني أنها تحاول التعبير عن نفسها خارج نطاق البحث عن مقوّمات الحياة الأساسية، وأنها تتلمّس خطواتها في رسم استراتيجية ثقافية من خلال مجموعة من العناصر أحدها إطلاق مهرجان، وأنها متعطّشة للنهوض بالتراث وترغب بالحفاظ عليه وبخلق التواصل بين الثقافات الفرعية.

ثمّ إنّ المهرجان يعني أن الجماعات المحلية وممثليها والفاعلين يبحثون في ما تعنيه الفنون الشعبية وثقافة الطعام والمهن والزي والتراث الشفوي، وتثمّنها من خلال عرضها في احتفال جماعي يتيح لدائرة أوسع من المهتمين أن يتعرّفوا عليها، والنظر في الفروق الدقيقة أو المشتركات بكل نشاط من هذه الأنشطة بين المجتمعات، لكن في سياق مهرجان يشكّل رابطة اجتماعية أوسع من المجتمعات التي يحتضنها، ويفسح المجال لخلق فضاء ثقافي يدعو لتبادل العناصر الثقافية، بالإضافة إلى كونه قبل كل ذلك نشاطاً ترفيهياً يدعو إلى عيش فرح مشترك، ويسمح للزوّار بالابتعاد عن مشاكل الحياة اليومية وروتينها الرتيب.

كما أن مهرجان بلد بعيداً عن الشعارات والفلسفات والدعوات إلى التثقيف، يعمل بفعالية على نشر قيم العبور الثقافي من خلال الدمج بين مختلف الأنشطة التراثية ودعوة الزوار إلى التعرف عليها وعيشها، وما توفره تلك التجربة من تسامح وتفهّم للاختلافات بين تراث منطقة وأخرى، لأن كلاً منها يصدر تراثها من علاقتها بالجغرافيا والبيئة الخاصة بها، كما يرتبط بطبيعة الجماعات المحلية بكل مجتمع، وما تنتجه عبر الزمن من مهارات وألوان تنفرد بها، بينما يطمح المهرجان إلى دمج ذلك التنوع وترسيخ القبول بالآخر عبر تبادل التفاعل بين الأنشطة الفرعية وتحاور المجتمعات بالفنون والمهن والموسيقا وغيرها من عناصر التراث.

لقد استطاع المهرجان حشد الناس للاحتفال بعيداً عن أي مناسبة رسمية اعتاد السوريون على قصر الاحتفالات الجماعية عليها، ما قد يلفت الانتباه إلى هذا الجانب الهام من تنظيم المهرجانات، وما توفره من مناسبة ومساحة

للترابط الاجتماعي الاحتفالي، وما تشكّله كحق من حقوق الناس بالتجمع والاحتفال وإحياء التراث وتعزيزه وتقديمه للآخرين.

خطا مهرجان بلد في دورته الأولى لهذه السنة -بتجهيز بسيط وأفكار متعثرة- خطوة الألف ميل، وفيها احتضن فعاليات اقتصادية متنوعة، وسمح لأصحاب مشاريع قديمة وجديدة أن يقدموا أنفسهم من خلال التراث، ويسوقوا منتجات مثل الصناعات الغذائية الموروثة والحرف التقليدية أو بعيداً عنها، لكن بكل الأحوال كان لهم فرصة أن يعلنوا عن منتجاتهم بطريقة غير تقليدية، وذلك بتعزيز إشراك زوار المهرجان بتجربة المنتجات عبر السمع والنظر والذوق والتفاعل، ومنحهم الشعور بتشجيع مشاريعهم المحلية وتبنّيها وتنميتها وإفساح المجال لها للظهور خارج النطاق المحلي.

لكن يُنتظر من هذه الخطوة الأولى أن تكون دعوة للتكاتف وبذل المجهود في الدورات القادمة للوصول بالمهرجان إلى مستوى أفضل، وهو الأمر الذي يُؤمل أن يظهر في الدورة القادمة العام المقبل.

المهرجان عبر الأنشطة والفعاليات

نفّذ مهرجان بلد على مدار خمسة أيام متتالية؛ خصص اليوم الأول لمجتمع ريف دمشق، واليوم الثاني لمجتمع حمص، واليوم الثالث لمجتمع دير الزور، واليوم الرابع لمجتمع إدلب، واليوم الخامس لمجتمع حلب. وتضمّن المهرجان الأنشطة التالية:

معرض المهن التراثية

خصّص المعرض لخمس من المهن التراثية الخاصة بالمجتمعات السورية المستهدفة في المبادرة، وامتدّ على مدار الأيام الخمسة للمهرجان، وتضمّن مهنة صناعة سلالم الزيتون، ومهنة سنّ السكاكين، ومهنة التنجيد، ومهنة شدّ المكانس، وصناعة خبز التنور، ومهنة التبييض، ومهنة التطريز.

معرض الصناعات الغذائية

أقيم على مدار أيام المهرجان الخمسة، وخصّص للصناعات الغذائية من المجتمعات المشاركة، وتضمّن المعرض منتجات محلية هي المخلّل، الزيتون، الشنكليش والدوبيركه.

المعرض الفني

أقيم على مدار أيام المهرجان معرض فني قدّمت فيه رسومات عن أهم المعالم الأثرية في مناطق المجتمعات المستهدفة، فعُرض عن مجتمع ريف دمشق لوحة للجامع الأموي، وعن مجتمع حمص لوحة لساعة حمص، وعن مجتمع دير الزور لوحة للجسر المعلق، وعن مجتمع إدلب لوحة لشجرة الزيتون، وعن مجتمع حلب لوحة لقلعة حلب.

المأكولات الشعبية

تضمّن النشاط توزيع حلويات شعبية على الحضور، وخصّص لكل مجتمع نوع منها؛ فعن مجتمع ريف دمشق قدّمت البرازق، وعن مجتمع حمص قدّمت المضفورة، وعن مجتمع دير الزور قدّمت الكليجة، وعن مجتمع إدلب قدّمت الشعيبيات، وعن مجتمع حلب قدّمت البقلاوة الحلبية.

المسابقات الثقافية

أقيمت بالتعاون مع محالّ وشركات تجارية محلية مسابقات ثقافية على مدار أيام المهرجان، وخصّص كلّ يوم منها لمجتمع من المجتمعات المشاركة، وطرحت فيها أسئلة عن تاريخ وثقافة وعادات المأكولات والمعالم الأثرية في المجتمع، وقد جرى توزيع جوائز للفائزين.

فقرة غنائية من التراث

قدّم فيها كل مجتمع وصلة من تراثه الغنائي، فجاءت عن مجتمع ريف دمشق العراضة الدمشقية، وعن مجتمع حمص العراضة الحمصية، وعن مجتمع دير الزور الموليّا الديرية، وعن مجتمع إدلب الموليّا السراقبية، وعن مجتمع حلب القدود الحلبية والمولوية.

الحكواتي

وتضمّن النشاط تقديم فقرة يومية للحديث عن تاريخ وعادات المجتمعات المستهدفة، والممارسات الاجتماعية المرتبطة بالمهن المعروضة وتاريخها، والمأكولات الشعبية المقدمة والطقوس الاجتماعية المرافقة لها، والألوان الغنائية الموروثة.

المهرجان عبر قصص الزوار

مهرجان بلد ليس عرضاً بصرياً وصوتياً وذوقياً من طرف واحد قام عليه المنظّمون والمشاركون في الأنشطة، لكنه احتفال تشاركي ساهم الزوّار في إنجاز أنشطته بما حملوه من توقّعات، وما ضخّوه من ذكريات وحمولة ثقافية ظهرت في التفاعل مع الموروث الذي اهتمّ به المهرجان، بحيث لم يكن لتقديم الموروث من معنى لو لم يكمله الحضور بتلقيه وإكماله والمشاركة في استحضاره وتمثّل طقوسه، لذلك فإن خير ما يمكن من خلاله تقديم تلخيص لمهرجان بلد وأنشطته هو عرض توليفة تجارب ذاتية لبعض زوار المهرجان.

بالطبع سيكون من المصيب أن يُجرى أحاديث مطوّلة مع أصحاب المهن والفعاليات والقائمين على الأنشطة، لمعرفة كيف ينظرون إلى المهرجان ورأيهم بفكرته وتوقيته ومكانه وتنظيمه وما يتعلق بكل هذا من شؤون، كما يصحّ ذلك بالنسبة إلى رأي الزوار وتجربتهم، وهو الأمر الذي حرص عليه صحفيون وإعلاميون كثيرون، لكن فهم الزوار وتفهّمهم هو ما تسعى إليه القصص في هذا الجزء من اليوميات، وبذلك يشارك القائمون على كتابتها وتحريرها في تسجيل ملاحظاتهم وتحليلهم إلى جانب قصص الزوار، لتشكّل بالنهاية جزءاً من الصورة الكاملة للمهرجان.

كما كان يمكن تصميم استبيان لمعرفة رأي الزوار بالمهرجان، لكن الاستبيان سيتيح لمصمميه ومحلليه أن يختبئوا خلف النتائج المكممة البادرة التي سيخرج بها، ويجعل من الصعب معرفة مدى التفاعل الذي أبداه محررو يوميات المهرجان مع زواره، لذلك جاءت القصص التالية:

شهد

"**هذا أحلى يوم بحياتي**" هكذا عبّرت الطفلة "شهد" ذات الاثني عشر عاماً عن انطباعها عند خروجها من مهرجان بلد في اليوم المخصص لإحياء التراث الثقافي اللامادي لمحافظتها؛ شهد من مواليد دير الزور 17-4-2011.

تجسّد حياة شهد المشهد السوري إلى حد كبير، وتتطابق بكثافةٍ تفاصيل حياتها مع تجربة دير الزور في الثورة: فيوم مولدها أطلق عليه السوريون

"أحد الجلاء"، ومنه ابتدأت قصة شهد التي عاشت كافة التحولات وتغيرات قوى السيطرة، إذ تزامنت صرخة حياتها مع صرخات السوريين المطالبة بالحرية وإسقاط النظام،

وصارت تناغي وتحبو خلال فترة المظاهرات الحاشدة والاعتصام بالساحات، وبدأت خطواتها الأولى المتعثرة وكلماتها المرتبكة مع سيطرة الفصائل العسكرية المحلية على غالبية محافظة دير الزور، ثم صارت تركّب اللغة وتواجه الحياة مع صراع الفصائل الإسلامية الذي انتهى بسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على المنقطة الشرقية بشكل شبه كامل، وصولاً إلى انفصالها عن حضن والديها خلال المعركة العسكرية التي أطلقها التحالف الدولي لمحاربة التنظيم، وقد اضطرت إلى مقاساة النزوح بدل الجلوس على مقاعد الدراسة، فتوجهت صحبة أهلها من موطنها الأصلي هرباً من الموت إلى التيه في الصحراء لأكثر من شهر، واستقرّ بها المطاف نازحة في مدينة أعزاز عام ٢٠١٧.
على الرغم من التغيرات الجذرية التي شهدتها حياة شهد ضمن هذه المعارك والتحولات الكبيرة في المحافظة، فإن قاسماً مشتركاً لفترات وعيها بمحيطها ظل الوحيد الذي يسمها، وهو غياب المساحات الثقافية والفنية أو تحريم وتجريم ممارستها، بل وصلت بها الظروف الأمنية إلى انعدام القدرة على الممارسة الفنية في السر كما العلن، أو حتى التعرّف على أي نوع من أنواع التراث الثقافي الفني.
ربما لم تدرك شهد بعدُ معنى أو مفهوم التراث الثقافي اللامادي، إلا أن ابتعادها عن موطنها الأصلي خلق لديها رغبة وشغفاً بالتعرف على مهارات الناس الخاصة في موطنها وألوان تفاعلهم المحلي والتعريف عن نفسها من خلالها.
شكّل اليوم المخصّص لتراث محافظة دير الزور بمهرجان بلد فرصة أمام شهد للتعبير عن هويتها كما تحبّ وأمام الجميع. عند سماعها المغني يقدّم أغنية من تراث محافظتها، أطربها السماع ورفع لديها مستوى الرغبة والشغف، بدأت بالدندنة خلفه وتصويب بعض المفردات التي أخطأ بنطقها بسبب صعوبة اللهجة، وأشارت بيديها لأحد منظمي المهرجان وهي تقول: "أريد أغنّي"، وفي اللحظة التي أرسل لها إيماءة بالقبول، توجهت من حيث تقف إلى المنصة راكضة بخفة تختصر الزمان والمكان، شعرها الأشقر وعيناها الزرقاوان يملؤهما الفرح، وغمازتاها تقولان: "أحبّ الحياة إذا ما استعطت إلها سبيلا".

العدالة المكانية

يمثّل التهجير هروباً أو إجباراً على الهروب من الموطن الأصلي للمهجّر إلى المنفى الذي يشكّل لاحقاً موطناً بديلاً، أو كما يعبّر عنه أحد المهجّرين محقاً "كاقتلاع نخلة من ضفاف الفرات"، ففي الاقتلاع تعبير مصيب عما يجري في التهجير السوري، الذي جاء بعد سنوات طويلة من رفض التزحزح عن الأرض رغم إمطارها بكافة أنواع الذخائر بقصد القتل والإبعاد القسري والاقتلاع.

وفي رحلة التهجير يصبح كلّ شيء أقلّ لدى المهجر: تنحسر العلاقات الاجتماعية، تتقلّص ثم تنفذ الموارد المالية، يصعب الوصول إلى الموارد الثقافية، ويضيق هذا الضيق ليخنق المكان، ويصبح البيت يقاس بالأمتار إن وُجِدَ في الموطن البديل، حيث لا ينجو من نزول الخيمة إلا قلّة محظوظة، في حين كانت الإقامة قبل التهجير في منزل يقاس بمئات الأمتار.

لا يمكن اختصار المنزل أو البيت إلى مكان للإقامة فقط، بل يتعدّى هذا الغرض ليتصل بعلاقة مباشرة مع التراث الثقافي المادي واللامادي، فممارسة الموروث الثقافي بماديته ولا ماديته يحتاج إلى علاقات اجتماعية وقدرة على الوصول إلى الموارد ومكان لا بدّ من اتساعه، فممارسة المورث الفني الغنائي مثلاً تحتاج إلى مساحة تتسع للجماعة، وصناعة المأكولات الشعبية تشترط مكاناً لا يضيق ذرعاً بالحاضرين، وممارسة العلاقات الاجتماعية تتطلب حيزاً يتسع لأفراد من خارج الأسرة والعائلة.

بعد موجات التهجير التي مُورست على العديد من المجتمعات السورية انحسرت الأعراس والطقوس المرافقة، وأصبحت تقتصر على أهل العروسين لعدم توفّر مكان للمحتفلين، واختُصِرَ العزاء إلى جلسة تضمّ الدوائر الضيقة لأهل المتوفَّى، وناب عنه العزاء الإلكتروني لعدم توفّر مكان للمعزّيين.

أصبح بيت الضيق -الذي يتّسع لألف صديق- قد لا يتّسع لقاطنيه، والصدر والعتبة عتبةً فقط، وصارت اللقاءات والعلاقات الاجتماعية بين المهجّرين محض الصدفة والمكان. هذا ما أرادت أم عبد الله التعبير عنه عند سؤالها عن سبب قدومها لمهرجان بلد على مدار أيامه الخمسة: "جاية أشوف الحبايب، مو ع طول أقدر أشوفهم".

تختزل جملة أم عبد الله أحد معاني مهرجان بلد بالنسبة إلى المهجّرين، فبالرغم من الملاحظات العديدة التي تناولت الحيّز المكاني للمهرجان، فإنه تحوّل عند أم عبد الله وزوجها إلى بيت ضيق يتّسع لألف صديق، وكان للزوجين اللذين تجاوز عمراهما الستين عاماً صدراً وعتبة لممارسة نشاط واحد فقط، وهو الذهاب والإياب من بداية أرض المهرجان إلى نهايته بشكل شبه

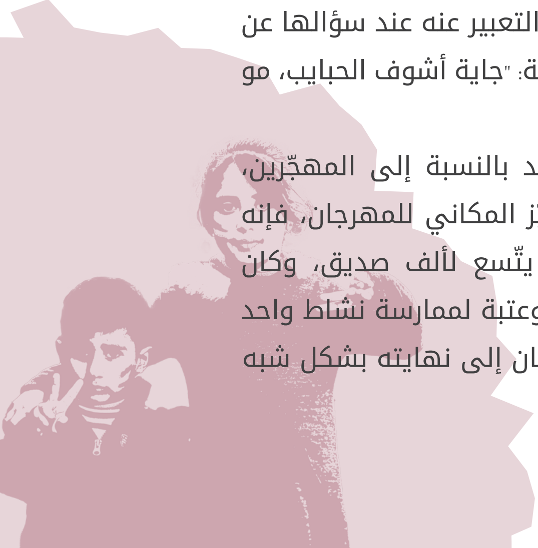

يومي؛ يتداولان أحاديث لا يسمعها سواهما، ربما كانت غزلاً بين عاشقين ضاق بهما موطنهما البديل، أو ربما همسات تقف على أطلال موطنهم الأصلي، أو صرخة تقول "لا بدّ من عدالة مكانية لينتصر التراث، لا بدّ من عدالة مكانية لينتصر المهجّرون".

أبو صطيف "الموَجّبْ"

يكاد يكون أكثر من زار المهرجان، وأكثر من رقص فرحاً في كافة الأيام: تجوّل في أركان المهرجان، تذوّق الحلويات مستكشفاً، ومعلّقاً بكلمة واحدة: "وطن" لكلّ من سأل عن المهرجان.

"أبو صطيف" أو "الموَجّبْ" كما يحبّ أن يصف نفسه، وجد بمهرجان بلد ضالته لتعريف الناس بأصول الرقص الحلبي؛ شارك في اليوم الأول والثاني والثالث والرابع والخامس الأخير المخصّص لمجتمع حلب. وقد أعدّ العدّة بعناية وحبّ لتعريف الناس بأصول وطقوس الرقص الحلبي، جمع أصدقاءه، تواصل مع فرقة رقص عربية لاستعارة المحارم المخصّصة للرقصة الحلبية، وتجهّز بالرفاق والمحارم والهمة العالية والرغبة بأن يكون أول المشاركين لتشجيع الآخرين.

هذا الوصف ليس لشخص عاش ومارس ورافق الرقص الحلبي سنوات من عمره، بل لشاب لا يتجاوز عمره 22 عاماً قضى نصفها مهجراً من مدينته حلب، و18 عاماً منها لا يعرف عن الرقص الحلبي سوى الاسم.

لأبي صطيف ثلاث زوايا مختلفة لرؤية المهرجان والتفاعل معه: تتمثل الأولى بكيفية تعلّم الرقص الحلبي قبل خمس سنوات بحفل زفاف قريب له، وكان أن كسر حاجز الخوف أحد رفقائه حين بدأ الفرح وحيداً وهو يرقص الرقصة الحلبية على صوت صباح فخري، فوجد أبو صطيف نفسه يقابله بالرقصة والفرحة بهدف إتمام الرقصة والتشجيع، ولربما هذا ما حاول فعله بمهرجان بلد عندما باشر الرقص مع صديقة ليشجّع باقي الزوار، وقد نجح. فبعد دقائق من ممارسته عشقه الفطري للرقص الحلبي امتلأت ساحة المهرجان بالمشجعين والراقصين المستجيبين للفرح.

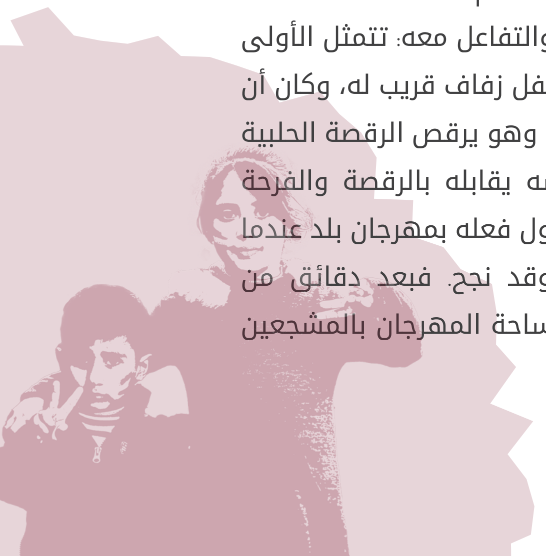

زاوية أبي صطيف الثانية تتمثّل بالواجب؛ للشاب العشريني منظور فريد بالتعاطي مع الأعراس والأحزان، فهو يشارك في كافة الأعراس التي يدعى إليها، ويرقص بشغف وحبّ، فمشاركته لأفراح الناس تعني بالضرورة مشاركة الناس لأفراحه من وجهة نظره. بينما يقف إلى جانب أهل المتوفّى، ويقيم واجب العزاء لكل شخص سلّم عليه يوماً ما، فمشاركة الناس أحزانهم تهوّن عليهم، ولا تجعل منه وحيداّ في أي مصيبة. فأبو صطيف باختصار شاب موجّب ومحبوب من أصدقائه الذين يشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ويشاركونه أفراحه وأحزانه، وقد استطاع بهذا المنطق أن يجذب عدداً كبيراً من أصدقائه للمشاركة في يوم مجتمع حلب.

الثالثة بالرقص في الأعراس؛ إذ لأبي صطيف هدف خاص من المشاركة في الأعراس، هو الرقص والرقص والرقص إلى حد الطرب والنشوة، لكن بشروط خاصة بالرقص الحلبي، منها الغناء الحلبي للرقص الحلبي، والصوت الجميل، والصديق المقابل في الرقصة.

يروي أبو صطيف أنه في موسم الأعراس في منطقة ريف حلب، يرتّب أيامه بطريقة تسمح له بالذهاب إلى كافة الأعراس التي يدعى إليها، مع وجود بعض الأيام التي يشارك فيها بعرسين في يوم واحد. ولأعراس أرياف حلب طقوس وممارسات فريدة يحرص أبو صطيف على ممارستها جميعاً في العرس، وهذا ما قد استطاع تطبيقه بمهرجان بلد، فقد واءم عمله ودراسته بطريقة سمحت له بالحضور في كافة أيام المهرجان، والرقص والغناء لكافة المجتمعات معبّراً عن أن مهرجان بلد يجمع أبناءه بمحبة وفرح، وأن التوجيب أحد مفاتيح الولوج إلى عالم التراث السوري.

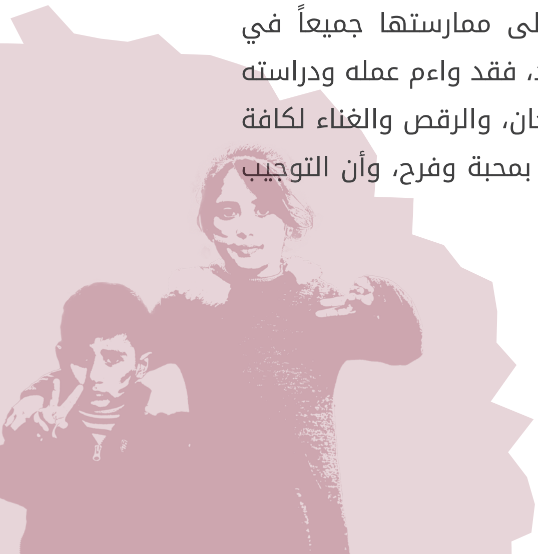

أنواع التراث

لكل نوع من أنواع التراث التي سعى مهرجان بلد إلى تقديمها قصةٌ أبطالها الناس الذين رووها ومارسوها خلال أجيال، وأضاف كل منهم شغفه وجهده إلى أصولها وتاريخها وطقوسها وسيرتها، بدءاً ممن مارسها وشارك فيها ونقلها إلى الأجيال التالية، مروراً بالناس الذين تلقوها بحبّ وشجّعوها واندمجوا فيها ودمجوها بحياتهم، وصولاً إلى باحثين ومؤرخين وإتنوغرافيين كرّسوا أوقاتهم وبحوثهم لتسجيل ودراسة ذلك التراث، الذي يعدّ الغناء الموروث أحد أهم أشكاله، وقد اعتمدت السطور التالية التي تتناول ألوانه على ما وصلوا إليه من نتائج.

التراث الفني

ويتمتع التراث الغنائي السوري بالتنوع تبعاً للبيئة وطبيعة المجتمع الذي أنتجه، لكنه بالعموم يميل إلى الظهور بشكل يتيح للمستمعين أن يشاركوا في أدائه بحيث يخرج غناءً جماعياً إلى حد بعيد، كما أنه يفرض على المؤدّين أن يرفعوا أصواتهم به، ثم إنّ كلماته وألحانه يسمحان بتعديل أو إضافة المزيد من الكلمات إليه إلى الحد الذي يبدو فيه أنه بلا نهاية، في حين أنهما يظهران طواعية في تسريع أو إبطاء توقيعه، ويغريان بالمشاركة في الرقص عليهما بحركات منتظمة وقورة.

العراضة الحمصية

ورث السوريون العراضة كطقس موزون من طقوس الأعراس، وترتبط بعنصر من عناصر الزواج وهو الإشهار من خلال الطبول والغناء (العراضة)، لكنها تأخذ أبعاداً أخرى مثل "تبييض" وجه العريس ومنحه الثقة والشعور بأن له عزوة عندما يتوجه إلى أهل زوجته، الذين تعني لهم العراضة بأن زوج ابنتهم محبوب من أقاربه ورفاقه، كما تنبّه النساء الحاضرات في العرس إلى قدوم الزوج.

وللعراضة الحمصية ضمن المجتمع السوري خصوصية تعبّر عن حالة الفرح والبطولة، وتكون أثناء تجوالها في الحارات القديمة في مدينة حمص مثل مظاهرة تتوافد إليها الحشود وخاصة الأطفال، حيث يستمعون إلى ما تقدمه العراضة من أهازيج على وقع الطبول، ويستمتعون بالرقصات واللعب بالسيف والترس.

تاريخياً لا يوجد معلومات دقيقة عن بداية دخول العراضة إلى حمص، ولكن من المرجّح لدى الباحثين أنها بدأت منتصف العهد العثماني، ويلاحظ امتزاج بينها وبين العراضة الفلسطينية، وكان لها حضور أيام الحروب لشحذ الهمم وإظهار البطولة، وينشد فيها أهازيج باللهجة المحكية من مثل:

يا عشي صول رزنا.. دين النبي يا عزنا بالسيف نأخذ حقنا

أو:

حقي عندك.. مالك شي.. خرج مفلح.. مالك شي.. مليان تفاح الي نصه.. مالك شي..

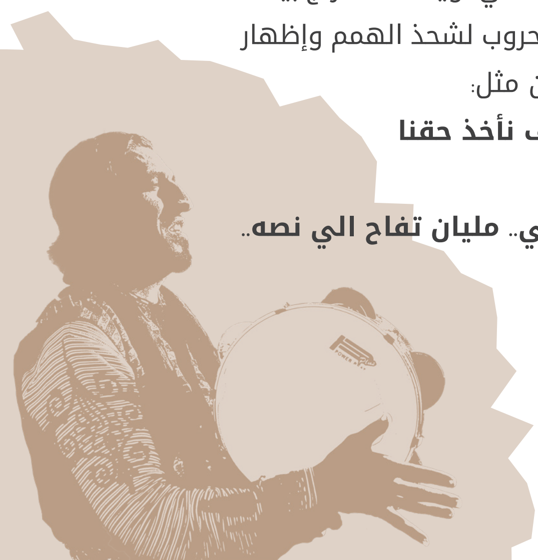

ويكثر فيها التغني بقوة الشباب والتحدي مثل:

يا شب ويلي ما ربي متلك.. ولا بجدك على جمع البوادي طايلها..

عظهر حمرة تعتلي شبه الأسد.. وينومس سرسبي لو كانت سايلها..

يطعن عدوّه بالحشا تحت المهد.. يا طعنته سم الأفاعي شايلها..

ويميّز أفراد العراضة الحمصية أهازيجهم بذكر مدينتهم ومعالمها:

حمص العدية.. فيكي سباع وميماسي..

وخالد سيف الله.. بسيفو حاميكي..

عدد أفراد العراضة يكون بين 12 و15 فرداً وأحياناً يكونون أكثر، ويتوزعون بين رئيس الفرقة ونائبه وأعضاء الدرجة الأولى الذين يقومون بأداء المبارزة والمرددين، وتقوم العراضة بعرض مبارزة بالسيف والترس، ويمكن أن تكون مبارزة ثنائية أو ثمانيّة تشتهر بها العراضة الحمصية.

وللعراضة زي محدد يشمل الحطاطة على الرأس والمنتال وهو الصدرية التي تلبس فوق القميص، وعلى الخصر الشالة، وجزدان خاص بالعراضة، وبالأرجل تبلس الكسرية، ومن الكماليات التي تعطي للزي رونقه الخاتم والساعة.

ويكون للعراضة الحمصية أوقات معينة تنشد فيها الأهازيج وذلك في الأعراس والأفراح، ولاحقاً تطورت لتحضر أثناء ولادة الأطفال، بينما تُعقد في الوقت الحالي في افتتاح المحلات التجارية والألعاب الرياضية وفي إحياء المهرجانات التراثية، ومن أشهر فرقها "فرقة أبو شام" و"فرقة أبو رسلان" و"فرقة أبو سامر الشاهرلي" و"فرقة أبو سبيع الرفاعي"، وقد بقي أثر تلك الفرق حتى بعد وفاة مؤسسيها.

العراضة الشامية

العراضة عند أهل الشام مثل مسيرة شعبية، تقيمها مجموعة من الشبان ينشدون الأناشيد الدينية الحافلة بالصلاة على النبي، ويرددون الأهازيج الشعبية، وهي احتفالية استعراضية تقام تكريماً لعزيز أو وجيه أو للعريس، ويتقدم جماعة العراضة اللاعبون بالسيف والترس والحاملون على أكتافهم المنشد أو الهاتف.

وقد حافظت مدينة دمشق على العراضة بكل ما تحمله من هتاف وأهازيج، يتغنى بها الأهل والأحبة في الأفراح والمناسبات كناقل أساسي لمظاهر البهجة والسرور، ويؤدي فيها السيف والترس إضافة إلى الآلات الموسيقية الصاخبة كالطبل الضخم والمزمار والطبلات الصغيرة، دوراً كبيراً في الإشعار بالتمسك والحفاظ على الموروث الشعبي.

كما الحمصية، تاريخ العراضة الشامية غير محدد بدقة، ولعلها بدأت مع ظهور المجتمع الدمشقي الحالي، وكانت قديماً تتألف من 10 إلى 15 عضواً، بينهم رئيس العراضة ونائبه وعضو ثالث مهمته تنظيم الدخول والخروج، أما الذين يقومون بلعب السيف والترس فهم أعضاء من الدرجة الأولى، وباقي الأعضاء مهمتهم التصفيق والترديد خلف الهتّاف.

ويعد السيف والترس اللذان تستخدمهما العراضة لوناً من ألوان السلاح الأبيض، الذي يدلُّ على أن التاريخ السوري يحمل في طياته ومضات من نماذج القتال في ساحات الوغى، لذلك تبقى المبارزة بالسيف والترس أحد أهم مظاهر العراضة الشامية ونوعاً من أنواع الرقص الشعبي، وترافقها بعض حركات الرقص بالأيدي والأرجل وضرب الطبول وإضاءة المشاعل، ومن هذه المبارزات ما يسمى مبارزة الزخ التي تمارس بالسيف والترس، ومنها مبارزة السبعاوية التي تُدار بالسيوف فقط.

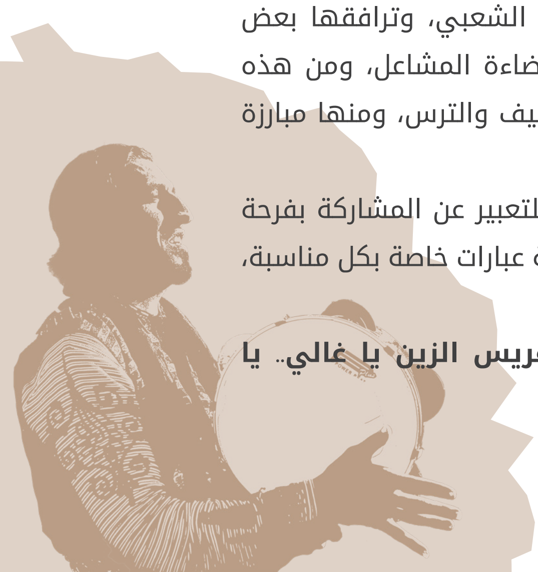

تقوم العراضة الشامية على الأهازيج الحماسية للتعبير عن المشاركة بفرحة الأعراس أو قدوم الحجاج، ويستخدم أعضاء العراضة عبارات خاصة بكل مناسبة، ففي الأعراس تهتف الفرقة مثلاً:

عريس الزين يتهنى.. يطلب علينا ويتمنى عريس الزين يا غالي.. يا مسهرني الليالي

أما عند عودة الحجاج فيستقبلونهم بالأهزوجة التالية:

أول ما بدينا.. على النبي صلينا يا صلاتك يا محمد.. بالصلاة صلوا عليه

ومن الأهازيج التي تقال للدلالة على الرجولة والقوة والاستعداد للمعارك:

اضرب واجرح لا تخاف.. وين السبعة يجاوب تسعة

ويا فَشَك مانك خرسان.. سمعنا الصوت الرنان

وللعراضة الشامية زي مؤلف من الشروال العربي المطرز والصدرية العادية والشملة والشالة والطربوش. ومن أشهر فرقها "فرقة باب الحارة" لمؤسسها معتز بولاد، و"فرقة خوالي الشام"، و"فرقة أهل الراية الدمشقية"، وفي مناطق ريف حلب "فرقة سلطان الشام".

القدود الحلبية

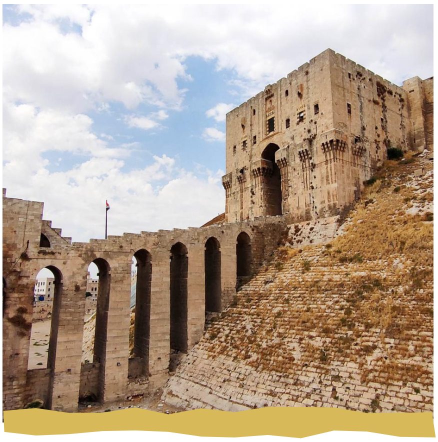

عالروزانا عالروزانا.. كل الهنا فيها
واش عملت الروزانا.. الله يجازيها
يا رايحين لحلب.. حبي معاكم راح
يا محملين العنب.. تحت العنب تفاح

ما من سوري لا يعرف هذا القدّ الحلبي،الذي قيل الكثير واختُلف حول مناسبته، لكنه بكل الأحوال خلّد الفن الغنائي المعروف بالقدود الحلبية، الذي خلّدَ بدوره تاريخ المدينة العريقة وحاضرها ومستقبلها أيضاً.

والقدّ قالب غنائي موسيقي شرقي يمثّل خليطاً من الموشحات الأندلسية والأعجمية والأغاني الشعبية، واختصت به حلب حيث بُنيت القدود على ألحان دينية أو شعبية، بمعنى أنها بُنيت على "قدّ" أي على قدر أو مقاس أغنية شائعة، ومن أنواعه "القد الشعبي" الذي يأتي على شكل منظومات غنائية متوارثة طُمس في أغلبها اسم كاتبها وملحنها مع الزمن، و"القد الموشح" المبني على نظام الموشح القديم، وله ثلاثة مصادر هي الموشحات والأناشيد الدينية المتداولة في الموالد والأذكار، والأغاني الشعبية والفولكلورية والتراثية، والأغاني والموشحات الأعجمية التركية والفارسية على وجه الخصوص. ويختلف القدّ عن الأغنية بأنه يمتد على لحن واحد يتكرر عدة مرات حسب رؤية المغني أو الموسيقي.

يعود تاريخ نشأة القدود وفق بعض الآراء إلى الأندلس ومنها انتقل إلى حلب كما انتقلت الموشحات، بينما تقصره آراء أخرى بمنتصف القرن التاسع عشر على يد الشيخ أمين الجندي الحمصي، الذي انتقل إلى حلب مع إبراهيم باشا ابن حاكم مصر محمد علي باشا الذي بسط نفوذه على سوريا عام 1830. وبالإضافة إلى الشيخ أمين الجندي، كتب كلمات القدود الكثير من شعراء حلب مثل الشيخ عمر اليافي والشيخ يوسف القرقلي والشيخ أبو الهدى الصيادي وأم محمد التلاوية ومحمد الدرويش وشاكر الحمصي.

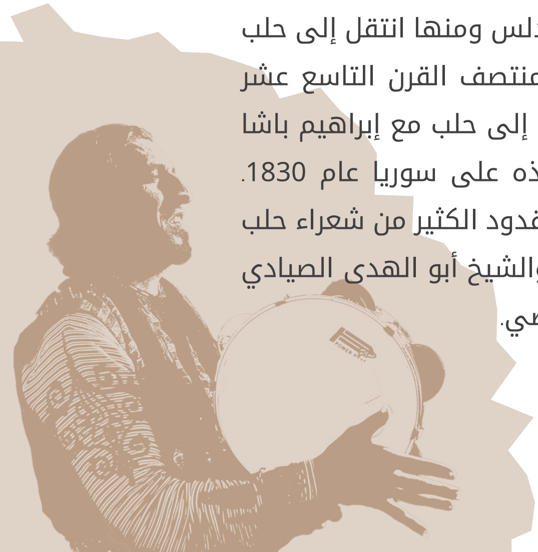

تحظى القدود الحلبية بجماهيرية كبيرة في جميع الوطن العربي، وتُغنى بجميع أفراح السوريين وأهل حلب على وجه الخصوص، ومن الأصوات التي برعت في أدائها وأصبحت أيقونات في عالم الفن، الفنان محمد خيري وبكري الكردي والشيخ صبري مدلل والمطرب صباح فخري والمنشد حسن حفار وأديب الدايخ.

الموليا الديرية

الموليّا لون من أبرز ألوان الغناء الفراتي في محافظة دير الزور، حيث تسود بحة صوت يغلب عليها طابع الحزن في غناء الموليا، التي يربطها البعض بلون شعري ظهر في العصر العباسي يدعى "المواليا"، وكان يُغنّى في بغداد من القرن الرابع للهجرة وفق ابن الأثير وابن خلدون والأبشيهي وغيرهم، بينما يعود بها البعض الآخر إلى العصر العثماني الذي شهد الانتشار الأول للموليّا في سوريا، خاصة في منطقة وادي الفرات السوري (دير الزور والرقة) وفق الباحث والمؤرخ عبد القادر عياش.

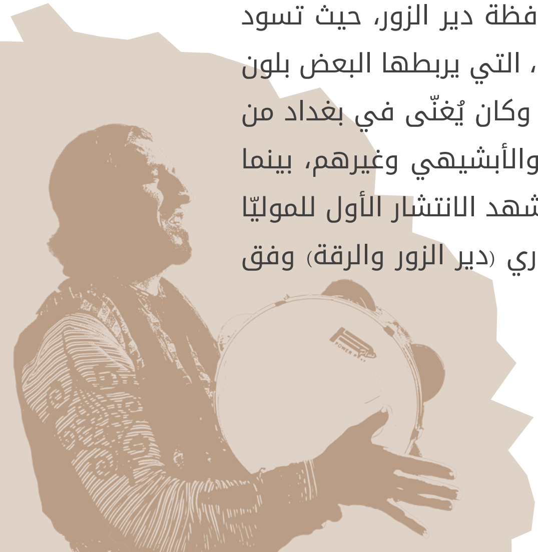

تُغنّى الموليّا الديرية بشكل إفرادي على العديد من المقامات الموسيقية خاصة مقام الحجاز في دير الزور، وبرفقة آلات تراثية بسيطة كالشاقولة (الزمّارة) والدف والربابة، وحالياً صارت تصاحبها بعض الآلات الموسيقية الشرقية أو الغربية، وبإيقاع سريع يناسب المناسبات الاحتفالية جميعها تقريباً.

ضاع الكثير من شعر الموليا القديم بسبب عدم تدوينه، وينظم على وزن بحر البسيط بأسلوب الأدوار الشعرية التي يتكوّن كل دور فيها من أربعة شطور لها ثلاث قوافي داخلية، بينما تتحد قافية الرابع (يّا) مع باقي الأدوار. وتؤلف بعض الموليا على الحروف الهجائية بحيث يبدأ كل مقطع منها على حرف من حروف الهجاء، كما في موليا "خود الهويدي" الأكثر تقديراً في دير الزور:

والميم ما مثلها يا خود الهويدي.. وكحيلةٍ محصّنة من خيل أبو زيد
حطّوا عليها حرس خوف من المعيدي.. وعبدين يبرولها يسكونها ميّا
عبدين يبرولها يسكونها بطاسة.. وأربع طعش نوبجي للخود حراسا
واليدحمج بالغلط لا ينكطع راسا.. ونعلكو بالتفك وبراس سنكية

كانت تعدّ الموليا من الشعر اليومي لدى السكان رجالاً ونساء، يسهل عليهم نظمه لكثرة تداوله واستعدادهم الفطري لنظم الشعر، في حين كان يتراسل الشعراء العاميون من أبناء المنطقة بأبيات الموليا، ويسمون القطعة "مشد" يتألف من عدة أبيات، وقد كان لغناء الموليا لازمة تسمى "ردة" يأتي بها المغني بعد كل بضعة أبيات، وهي عبارة عن بيت مفرد من الموليا يكرره بين المقاطع، مثل:

الله على أبو الزلف عيني يا موليا.. عجوز تطرد هوى وتقول أنا بنيه

وتتميز الموليّا الفراتية بالصدق والبساطة وسهولة الكلمات والإيجاز في التعبير، وكانت تغنيها النساء على الدف في السهرات العائلية للتسلية وإزجاء الوقت وإبراز سعة الحفظ وسرعة البديهة، ويعد المطرب الراحل محمد الهزّاع من أشهر مؤديها في دير الزور.

المووليا السراقبية

المووليا في سراقب كلمة مركبة من مقطعين صوتيين هما "مو" و "ليّا"، ويقال إنّ أصلها يعود لأحد الأشخاص كان يعشق فتاة، وعندما سمع بخبر زواجها لشخص آخر بدأ يصيح "مو ليّا" بلون الشجن والحزن، ومنه تناقل الناس هذا اللون من الغناء. وفي روايةٍ أخرى تنسب المووليا لقبيلة الموالي.
عرف غناء المووليا بسراقب في مرحلة متقدمة، وتعتبر الصيغة الغنائية الأكثر انتشاراً فيها، وكانت تُغنّى في أكثر المناسبات رفقة الإيقاع، وقد وفدت من الشمال الشرقي "المووليا الفراتية" ومن الغرب "المووليا الروجية" ومن الجنوب "المووليا السلمونية" من السلمية، وقد تجاورت هذه الأنواع الثلاثة من المووليا في سراقب، ومنها وُجِدَ الشكل المحلي الذي يعبّر بشكل أفضل عن روح المنطقة وواقع الإنسان فيها وهمه اليومي.

تُغنّى المووليا في جميع المناسبات الاجتماعية وخاصة في أثناء طقس الجرشة، الذي يعتبر من أهم الطقوس الاجتماعية السائدة قديماً، وهي كلمة مأخوذة من جرش البرغل أي طحنه، وتتم بواسطة آلة تدعى الرحى بعد أن يتم تحديد مكان الجرشة، حيث يجتمع الشبان مع الصبايا من الأقرباء والجوار، فتجلس حول الرحى فتاتان تقومان بإدارتها وصَبّ البرغل فيها، ومن أجل تبديد التعب وتمضية الوقت كان بقية الحضور يغنون المووليا على إيقاع دوران الرحى.

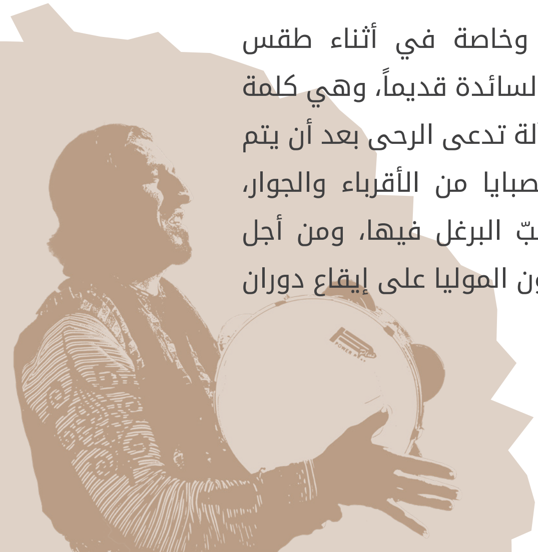

يضيف البعض طقوساً أخرى على احتفال الجرشة، مثل أن يُطلب من إحدى الفتيات صنع الكبة النية كي يأكل الحضور، وغالباً ما كان يتم انتقاء الفتاة الأجمل لصنع الكبة تيمناً بجمالها لأكل وجبة طيبة من "تحت إيديها" كما يقول التعبير الشعبي، ومما كان يُغنّى بإيقاع بطيء:

وسمعت صوت الرّحى والحِبّ دايرها.. وأربع جدايل شقر عالكتف دايرها
تمنيت حالي بنت لَقعد ودايرها.. وَشوف دقّ الصدر من غير مِنِيَّة

وتظهر عناية أهل سراقب بالموليا من خلال نظمها بقوافي تعتمد الجناس التام في الشطور الثلاثة الداخلية (دايرها)، مع انصراف كل لفظة إلى معنى خاص، كما هو الحال في العتابا وغيرها من ألوان الغناء الموروث.

كانت الموليا تُغنّى من قبل أشخاص يتمتعون بصوت جميل وعذب، وغالباً ما يكون المغني عازفاً على آلة الربابة أو يرافقه شخص آخر بالعزف، ويقال للمغني "حسّه طيب" وهو تعبير شعبي يربط بين الحس المرهف والصوت العذب الجميل، ومن أجمل الأصوات التي غنت الموليا في سراقب أحمد حماطيش الملقب بأبو راتب ورضوان الحمادو وأحمد تلاوي.

كتاب تاريخ الغناء الشعبي في مدينة سراقب
المغني محمود احمد قدور المعروف بمحمود الأحمد

الحكواتي

عنترة بن شداد، الملك الظاهر، سيرة بني هلال، الزير سالم: جميعها قصص وروايات كان الحكواتي في المقاهي السورية عامةً والدمشقية والحلبية خاصة يقوم بقصها وحكاياتها للجمهور في المقهى، فهي مهنة تراثية شعبية عرفتها بلاد الشام منذ مطلع القرن التاسع عشر، وحظيت بشعبية كبيرة وأصبحت تراثاً شعبياً.

الحكواتي هو الراوي أو القاص الذي يجمع أبناء الحي، ويروي لهم سيرة عنترة بن شداد والزير سالم وسيرة بني هلال وغيرها من الروايات والحكايا القديمة، ويجسّد الرواية أحياناً بحركات تمثيلية أو تعابير صوتية تضفي على القصة إثارةً وحماساً وتشويقاً، وبذلك تصبح مهنة متعددة الفنون من قص وإلقاء وتقمص وتمثيل، فالحكواتي يتعاطف أحياناً مع أبطال القصة وقد يتقمص شخصية أحدهم، وأحياناً أخرى يرفع صوته للتشويق ويقوم بأداء حركات معينة، وقد يكون الحكواتي مصدر الحِكَم والعبر.

غالباً ما تنتشر هذه المهنة في رمضان، ويكون لها وقع خاص بعد صلاة العشاء، إذ كان الجمهور ورواد المقهى يبقون لساعات طويلة للاستماع إلى أحداث القصة والرواية، وعندما ينهي الحكواتي الفقرة ويريد الخروج كان الرواد يهتفون بالبقاء لمعرفة مصير بطلهم.

الحكواتي غالباً ما يكون مرتدياً زيه المؤلف من الشروال والصدرية والقنباز، ويجلس في صدر المقهى ليراه من فيها، ويمسك بيده إما سيفاً أو عصا، وفي أغلب الأحيان يرتدي النظارة، كان يشاهد الحكواتي عبد الحميد الهواري (1958-1985) في مقهى النوفرة بدمشق، وهو آخر حكواتي في المقهى ولا تزال صورته تتصدرها. ولأن الحكواتي مهنة تراثية شعبية، فقد أعادت مقهى النوفرة إحياء فقرة الحكواتي، والتي عادة ما تكون بعد صلاة المغرب أو العشاء كل يوم حتى خارج شهر رمضان، ليقوم الحكواتي أبو سامي بروي القصص والحكايا في المقهى، بينما يعد محمد الحموي الحكواتي الأشهر في مدينة حلب وقد توفي عام 1981.

شخصية الحكواتي اليوم رمزاً للتراث اللامادي للبلاد، ومحل اهتمام السكان المحليين والسياح.

المطبخ الشعبي

يعتمد المطبخ السوري الموروث على تقسيم العمل الاجتماعي الذي جعله من حصة النساء، الأمر الذي وسمه بالتعقيد وتقسيم عملية الطبخ إلى مراحل والاشتغال على المنافسة والاهتمام بالتفاصيل، ولم يكتف أصحاب حرف الصناعات الغذائية بالحفاظ على كل ذلك عند نقله إلى السوق، بل أضافوا إليه تحسيناً وتجويداً واهتماماً مضاعفاً بالمنافسة، وهذه بعض منتجاته التي قدمها المهرجان:

الشعيبيات

أقراص بيضاوية الشكل مصنوعة من رقائق العجين، شقراء اللون مائلةٌ إلى الاحمرار، قليلة القطر من الأعلى ومشبعة فيه من الأسفل، وتتعدد أشكال وأنواع الحشوة فيها من اللبّة قديماً إلى القشطة، ومن ثم حديثاً إلى الفستق الحلبي والجوز.

الشعيبيات من الأكلات التراثية الأشهر في محافظة إدلب، ويعود تاريخ صناعتها إلى أكثر من مئتي عام، وكانت تصنع في البيوت حيث كان يستخدم التنور في عملية الشوي -بعد الانتهاء من الخبز- عبر إغلاق فوهته وتركها بداخله، ثم انتقلت إلى أفران الحجر القديمة التي كانت تصنع الخبز للعامة،

والتي كانت تعمل على الحطب ثم انتقلت إلى البيرين ثم المازوت، وأخيراً أصبح لها أفران خاصة تعمل على الغاز، ويعتبر خليل حلاق الملقب بأبي العبسي أول صنّاعها مع شريكه محمد الأشقر.

أما عن تسميتها فهي تعود حسب معظم الروايات الشفوية إلى كونها أكلة شعبية يصنعها معظم الناس في بيوتهم، وأول من صنعها هم أهل مدينة إدلب، وهم الذين اهتموا بها واشتهروا بها خاصة مع دخولها في أغلب المناسبات الاجتماعية وتقديمها كنوع من أنواع الضيافة التقليدية أو تقديمها هدية في حال المسافر.

وعن مراحل صناعة الشعيبيات فهي تبدأ بمرحلة تحضير العجين، ثم تقطيعه إلى قطع متساوية الحجم يتراوح وزنها بين 50 و90 غ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التسمين وهي وضع السمن في قطعة العجين بعد أن تفتح القطعة بشكل دائري، وبعدها تطوى وتترك لمدة خمس دقائق للراحة وامتصاص السمن، ومن ثم تأتي مرحلة التوريق وهي لف القطعة بشكل ورق حلزوني وهي التي تعطي شكل القرص للشعيبية، بعدها توضع الحشوة داخلها ويدهن وجهها بالقليل من السمن. وأخيراً تأتي مرحلة الشواء بوضع الصينية النحاسية (صدر الشعيبيات) في فرن الغاز لمدة (30 - 40) دقيقة وبدرجة حرارة بين (150 - 180) درجة مئوية، ومن ثم تخرج من الفرن ويرش عليها قطر السكر.
من أشهر صناع الشعيبيات في إدلب طاهر علوش وناجي عاشور وديب حبوش وخالد غنوم.

الحاج خالد غنوم أبو أحمد صاحب محلات غنوم (صوران - اعزاز - إدلب - سلقين - أريحا).

البرازق

من أشهر الحلويات الشرقية وتتربع على عرش الحلويات الجافة، وهي عبارة عن رقائق رفيعة دائرية الشكل من العجين المخبوز هشة المذاق ومغطاة بالسمسم، ويضاف إليها حديثاً الفستق الحلبي.

يعود أصل الأكلة إلى مدينة القدس، وحسب دراسة للباحث في تاريخ القدس بشير بركات، فقد ظهرت البرازق كصناعة لدى خبازي مدينة القدس أواخر العهد العثماني، أي إنّ عمرها في القدس يفوق المئة عام، وكانت عبارة عن أقراص بيضاوية الشكل كبيرة الحجم قليلة السمسم وذات طعم مالح، إلا أنها انتقلت إلى دمشق حيث أُجري تعديل عليها، لتصبح أصغر حجماً وحلوة المذاق، ويضاف إليها على الوجه الكثير من السمسم. وعلى الرغم من بساطة البرازق الشامية وقلة مكوناتها، ظلت واحدة من أطيب الحلويات السورية خاصة والعربية بالعموم.

وتكتسب البرازق مكانةً خاصّةً عند أهل دمشق خاصة وسوريا عامة، ويفضلون تناولها بعد الإفطار في رمضان كنوعٍ من أنواع التسالي، ويقدمونها أيضاً في جميع الولائم والمناسبات والأعياد مع بعض الحلويات الأخرى.

وتعد البرازق الشامية أحد أشهر أنواع الحلويات الشامية، ومن سوريا انتشرت إلى الكثير من الدول العربية الأخرى، وذلك بسبب تميز مذاقها وغنى مكوناتها وروعة تجربتها، وتتكون البرازق من طبقة من العجين الرقيق تعلوها طبقة من السمسم الطازج، ويضاف إليها أيضاً الزبدة أو السمنة البلدية مع العديد من المكونات الأخرى، ويمكن وضع بعض المكسرات أسفلها.

ويتم تحضير البرازق عن طريق دعك السمن العربي باليد مع القليل من الدقيق حتى يصبح لونه أبيضاً، ويضاف إليه السكر ويتابع الدعك حتى يصبح الخليط عجينة هشة كالكريمة، ويضاف إليها المحلب والمستكة والبيض، وتترك بالثلاجة لمدة ساعة وبعدها تدعك باليد مرة أخرى، ثم تقطع قطعاً متساوية بحجم البيضة، وترق بين الكفين على شكل أقراص مستديرة، ويرش على وجهها السمسم ويضغط عليها باليد حتى يلتصق بالعجين، وترتب الأقراص في صينية وتدخل الفرن حاراً مدة عشر دقائق ليحمر سطحها.

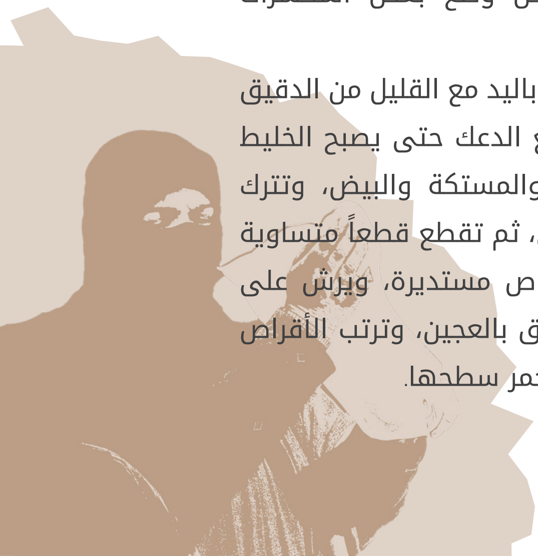

ومن أشهر المحال التجارية التي تقدم البرازق الشامية الأصيلة "حلويات سميراميس" الذي تأسس منذ عام 1928 في مدينة دمشق، وتحتل شركة سميراميس المرتبة الأولى في الشرق الأوسط، وتقدم أفخر أنواع الحلويات العربية بالصورة المعبرة عن الفن الحرفي والفخر التراثي.

موقع سنابل

المضفورة الحمصية

نوع من أنواع الأكلات التي يتوارثها المطبخ السوري بشكل عام، ولكن تتميز بها مدينة حمص بشكل خاص، لكن للأسف لا يوجد تاريخ معروف لدخولها إلى المدينة، التي أطلق سكانها عليها اسم المضفورة تمييزاً لها عن "عش البلبل"، المعروفة في المحافظات السورية الأخرى.

كلمة مضفورة أتت من شكل عجينتها التي تُمطّ بشكل طولي ثم تلفّ على شكل ضفيرة قبل أن تبسط ويفرد عليها اللحم، وتختلف المضفورة عن عش البلبل بالحجم والمناسبات التي تُقدّم بها، إذ تقدم كطبق جانبي في الأعراس والمناسبات وبشكل أساسي في المآتم، وتتفرّد بأنها تُصنّف من الحلويات حيناً ومن المقبلات أحياناً أخرى.

أما طريقة صنعها فيتم بخلط الطحين مع السكر والملح والماء والقليل من الزيت، وتُعجن حتى تصبح ناعمة، وتُقطّع العجينة إلى قطع متساوية بحجم متوسط، ثم تترك لمدة نصف ساعة يتم بعدها رقّ كل قطعة على حدة لتصبح رقيقة جداً،

توضع رقائق العجين فوق بعضها البعض بعد أن يُدهن بين كل طبقة بالسمن، وتترك لمدة ساعة أو أكثر، وتفرد بعدها بالشوبك وتلف بعد ذلك وتُقطّع لقطع صغيرة، من ثم يتمّ فرد كل قطعة على حدة فتتشكل صفيحة عجين بطبقات محشوة بالسمن، ويُوضع عليها اللحمة المفرومة مع البصل ودبس الرمان وتُزيّن بالصنوبر، وتوضع بعدها في الفرن حتى تتحمّر، وبهذا تكون المضفورة جاهزة بأقراص على شكل طبقات مورّقة وهشّة.
ومن أشهر من قام بصنع المضفورة في مدينة حمص "أبو أنس المهباني" المعروف بحلويات المهباني في حي باب هود، الذي أورث المهنة لأحفاده.

المهن التراثية

لا يعني في حالة المهن التراثية السورية التي حضرت في المهرجان أنها صارت من الماضي الجميل، ولا يدلّ عرضها كنشاط في المهرجان على أنها انفصلت عن الناس وصارت من الفلكلور، لأن هذه المهن ما زالت حاضرة طازجة في يوميات السوريين حتى بمنافيهم البعيدة، لكن حضورها في المهرجان يعني دعوة الزوار إلى إعادة النظر في العلاقة معها، بحيث يغنون الطقوس التي ترتبط بها بإضافة طقس آخر يأتي على شكل احتفال جماعي، يشارك فيه أصحاب المهن وزبائنهم وشركاء سوريون من مناطق أخرى لديهم مهن مختلفة يحتفلون بها، وهذه بعضها:

صناعة المكانس

صناعة مكانس القش إحدى الصناعات اليدوية التقليدية الشعبية العريقة، التي ما زالت مستمرة حتى وقتنا الحالي، ويعود تاريخها إلى عقود من الزمن، وتعد من المهن اليدوية التي لم يطرأ أي تحديث على آلية صناعتها، وتحتاج إلى مهارة ودقة عالية، ويعمل بها الرجال والنساء.

تبدأ مراحل صناعتها بتحضير القش الجاف بترطيبه بالماء حتى يسهل التعامل معه وفرزه حسب ثخن القشة ونعومتها، فلكل قشة وظيفة محددة في جسم المكنسة تأخذ اسمها منها، فهناك قش الحشوة في أول مرحلة لحشو قلب المكنسة بها، ثم يتم استخدام القش الخشن جداً من خلال تنعيمه لصناعة قبضة المكنسة، ويضاف بعد ذلك قش الستارة الذي يستر حشوة المكنسة ويغطيها من الخارج، وتليها مرحلة المزايرة وهي عبارة عن شد جسم المكنسة بين قطعتين من الخشب تسمى الزيّارة، ويطرق بعدها القش بمطرقة خشبية خاصة لفرد وتوزيع القش بشكل متناسق حتى تأخذ المكنسة شكلها النهائي.

تبدأ بعد ذلك عملية خياطة المكنسة لشد القش بعضه إلى بعض وتمتين المكنسة، وبعد الانتهاء من خياطة المكنسة تقص نهايتها بشكل متساو، وعند الانتهاء من صنع كل المقشات توضع جميعها في غرفة التبخير طيلة الليل باستخدام غاز الكبريت الذي يعطي المكنسة لوناً متجانساً، بعدها يتم فرد المكانس في الهواء الطلق تحت أشعة الشمس حتى تجف تماماً.

تنتشر المهنة في دير الزور وإدلب وحلب واللاذقية، وتعد من أصعب المهن التراثية الشعبية لكونها تحتاج من 8 إلى 12 ساعة عمل للإنجاز، ويوجد أنواع وأحجام للمكانس تتوزع بين الكبيرة والصغيرة والمتوسطة، أما أنواعها فتقسم للخشنة والناعمة.

التنجيد

تعد مهنة التنجيد مهنة تراثية في كافة المحافظات السورية، وهي من أقدم المهن اليدوية المستمرة في سوريا، توارثها الأبناء عن الأجداد كونها إرث ثقافي غير منته، وقد دخلت منذ أكثر من نصف قرن أحد أشكالها المسماة التنجيد العربي لتمييزها عن تنجيد الكراسي والكنبات، ومن المدن التي اشتهرت بها دير الزور وحماة والحسكة ودمشق، حيث ارتبطت بالأعراس وتجهيزات العروس.

التنجيد يمثّل عملية دمج بين المنسوجات بأنواعها وبين حشوة لها تطورت طبيعتها حسب تطور الحياة، فكانت بداية عبارة عن قشور نباتات مجففة، ثم تم استخدام صوف الأغنام وشعر الماعز والجمال وريش الطيور، ولاحقاً استُعمل القطن كحشوة للفرش واللحف والوسائد والمساند، وذلك قبل الاعتماد على الاسفنج الصناعي.

للمهنة أدوات خاصة بها منها القوس، وهي أداة خشبية مقوّسة يتراوح طولها بين متر إلى متر ونصف مربوطة بوتر غليظ، والمطرقة وتسمى الجك وهي أداة خشبية قصيرة عريضة لها مقبض بطول 15 سم، وعصا مصنوعة من خشب الرمان أو الخيزران، وخيوط بيضاء وإبرة خياطة كبيرة والكشتبان والمشرط الحاد.

أما آلية التنجيد فتكون بجمع كومة من الصوف، ويقوم المنجّد بضبط الوتر وشده ويضرب عليه بالمدقة عند المنتصف، وبهذه العملية يلتف الصوف على الوتر فيرفع المنجد القوس إلى الهواء ويدق القوس لينثر الوتر ألياف الصوف مندوفةً على شكل خيوط رهيفة مفككة، ويكرر العملية حتى يصبح الصوف عبارة عن كومة كبيرة مفككة، ثم يقوم المنجّد بتوزيعها داخل القالب المخصص للحاف باستخدام سيخ من الحديد، وبعد ذلك بطريقة يدوية حرفية يقوم بخياطة دروب متوازية متقاربة على مساحة اللحاف، مستخدماً الإبرة الكبيرة المسماة الميبر، وخيوط الملاحف التي يقوم بدلكها قبل الاستعمال بالشمع لتصبح أمتن.

من المنتجات التي يقوم المنجّد بصنعها فراش الصوف، واللحاف الذي تكون حشوته من صوف الخراف التي يقل عمرها عن ستة أشهر، ويتراوح وزن اللحاف بين 4 و6 كغ، ويكون وجهه الداخلي من قماش الساتان بألوان متعددة زاهية، والوجه الخارجي من القماش الناعم.

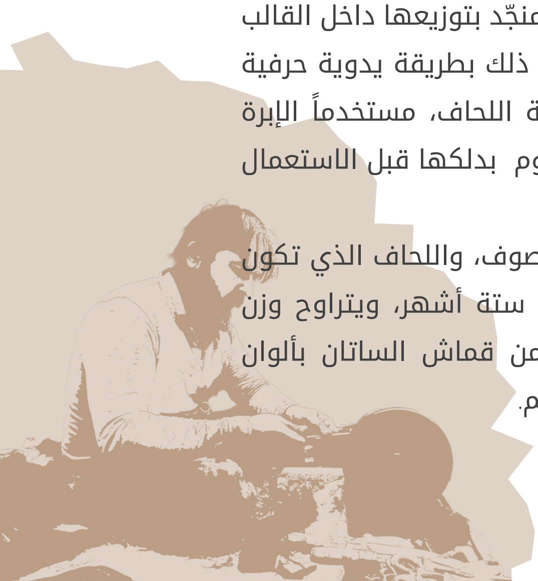

هناك عائلات عربية ارتبطت أسمائها بمهنة التنجيد فأصبحت تكنى بعائلة المنجّد، وهذا يدلّ على المكانة الاجتماعية لمهنة التنجيد، ومن أشهر المنجّدين الذين ما زالوا موجودين في وقتنا الحالي "المنجّد أبو أكرم سراج" الذي حافظ على مهنته من خلال دكانه الموجود في حي القنوات في دمشق.

سنّ السكاكين

من المهن التي ما تزال موجودة لكن على نطاق محدود، وتعدّ الآن من الموروث الشعبي بينما كانت قديماً ضرورية بسبب الاعتماد على السكاكين للحماية والدفاع عن النفس واقتصار صناعتها وسنها على الحرفيين.

تدخل السكين في 32 مرحلة لتصبح جاهزة للاستخدام المخصص لها، ولها طريقة صنع خاصة بها إذ يستخدم الحرفي فرناً يعمل بالفحم ويسمى بيت النار، حيث يقوم بتسخين المعدن (الفولاذ) وتشكيله بالطرق عليه بالمطرقة على السندان ليتشكل ما يسمى الشفرة، ومن ثم تبرد بالجلخ وتوضع عليها القبضة التي عادة ما تكون من خشب السنديان.

وللسكاكين أنواع واستخدامات خاصة: فسكاكين الفولاذ تُستخدم للمطبخ وبعضها يكون للاستخدام الشخصي وتسمى "الشبرية"، ويُستخدم في صنع الشبرية قرن الخاروف الذي يُعالج على النار، وباستخدام المقشطة وهي أداة خاصة بسن السكاكين سابقاً، يقوم الحرفي بقشط الجزء الذي لا يريده،

ومن ثم تُبرّد بمبرد خشن ومبرد ناعم.

وللسكاكين القديمة من حيث التزيين نوعان: نوع يكون بدون إضافة أي شيء ويسمى السكين السادة، والآخر يُطلى بالفضة ويُزخرف ويستخدم للزينة. كذلك هناك أنواع مختلفة تبعاً للقبضة الخاصة بها، والتي تكون من خشب السنديان والشفرة من الستانلس ستيل ولها عدة قياسات، ومنها ما تكون مطوية أي يغلق نصلها في قبضتها، وهذا النوع من السكاكين كثير الطلب بين المزارعين لسهولة استخدامها في قطع الأعشاب والأغصان، وسهلة الحمل في الجيب. ومن السكاكين أيضاً التي كانت تُستخدم للحلاقة (الموسى) أو للجزارة وتسمى الساطور، وتكون حادة ومتينة لقطع العظام وتُستخدم أيضاً لقطع أوراق التبغ.

من أشهر صانعي السكاكين في سوريا محمود ياسين الذي يمارس المهنة في دكانه في دمشق، وفي مدينة أعزاز ما زال زكريا البوجقجي يمارس المهنة التي ورثها عن أجداده.

موقع القدس العربي

قناة رحى للمدن القديمة

صناعة سلالم الزيتون

تعد النجارة العربية من المهن الشائعة والمحببة لدى السكان في إدلب لارتباطها بتاريخهم وثقافتهم، ومن أنواعها المتعارف عليها صناعة الأثاث الخشبي الفاخر والمتنوع، الذي يعكس أثر الحضارات السابقة التي مرت على المدينة منذ ما قبل العصر الروماني إلى يومنا هذا.

ومن أشهر الصناعات الخشبية التراثية صناعة سلالم الزيتون (السلّاتة الخشبية) كما تُسمّى، والتي لا يكاد بيت في مدينة إدلب وريفها يخلو منها بسبب ارتباطها الوثيق بموسم قطاف الزيتون، إذ تشاهد في الحقول بكثرة حينها.

ويعد تاريخ السلالم الخشبية التي تستخدم في قطاف الزيتون تاريخاً طويلاً ومرتبطاً بثقافة وتراث الشعوب التي تزرع الزيتون، وجزءاً من الحياة الريفية والاحتفالات الموسمية.

لصناعة سلالم الزيتون طريقة خاصة وخشب خاص يكون من الأنواع الخشبية المرنة وخفيفة الوزن مثل الجوز أو الزان أو الصنوبر أو البلوط، وهناك نوعان للسلالم الخشبية أحدهما السلّم القائم وله ساق واحدة، ويحتاج إلى الاستناد على شيء فيسند على الشجرة أثناء القطاف كما يستعمل في المنازل للوصول إلى الأسطح، والنوع الثاني هو السلم ثنائي الساقين (الشعب)، وله ساقان تستندان بعضهما البعض فتعطي للسلم شكل المثلث، ولذلك يسمى في بعض المناطق الشِّعْب، وهو الأكثر استخداماً في قطاف الزيتون وغيرها من الأشجار، ويُصنع في بعض القرى الريفية الصغيرة يدوياً في المنزل.

يتراوح طول السلّاتة بين متر ونص والمترين، وتقوم معظم المدن التي تنتج الزيتون بتصنيع السلالم، ولكن على وجه الخصوص تشتهر بها كل من معرة النعمان وسراقب ومعرة مصرين وسلقين وأريحا، بالإضافة إلى مناطق في مدينة حلب وريفها أيضاً مثل أعزاز وعفرين.

ويعد أحمد غازي ملّا لاذقاني من أشهر صناع السلالم، وقد توارث المهنة عن أجداده، ومازال يصنع السلالم في دكانه في السوق الرئيسي في إدلب المدينة.

الإسكافي

هو صانع الأحذية ومُصْلِحها، وتظهر حرفته في الثقافة الشعبية بأشكال مختلفة كما في الأمثال الشعبية مثل "السكافي حافي"، وتعتبر من الحرف التقليدية القديمة في سوريا بدون تاريخ محدد لدخولها أو ظهورها في سوريا، بل ظلت مهنة عابرة ومتجددة طرأ عليها تغيرات كثيرة.

من أنواع الأحذية التي كانت تصنع سابقاً يعد القبقاب من النمط التقليدي القديم، وهو حذاء خشبي كان يُحشى بالقش لتدفئة القدم، ومن أنواعها القديمة كذلك الخف الذي يصنع من أنواع مختلفة من الجلد، ثم ظهرت الصنادل والجزمات التي دفعت السوريين إلى التخلي عن القبقاب والخف، بينما ظل الشاروخ يصنع إلى اليوم، وهو من الأحذية التي تحمل تراث بعض المناطق في سوريا كمدينة حماة ودير الزور وريف حلب، وسُمّي بهذا الاسم لوجود الشرخ بجانب الإصبع الكبير.

اللافت في صناعة الشاروخ الجزء المتعلق ب«القِرْمِة»، وهي جزء من جذع شجر الجوز أو السنديان المتين، ويكون ثقيلاً ويثبّت على الأرض ولا يؤثر به الطرق، ويُدقّ عليها الشاروخ ويُلصق ويخاط حتى تكتمل صناعته، التي يدخل فيها الجلد الطبيعي المدبوغ بأنواعه كجلد البقر لصناعة النعل والوجه، وخيوط القنب أو الكتان القديمة، كما تستخدم مادة "السريس" الذي يمزج بالماء ويوضع بطاسة ألمنيوم قديمة للصق المؤقت. ولصناعة الأحذية بالمقاسات المطلوبة كان يستخدم الإسكافي أداة تدعى "الهندازة" أو "الهنداسة"، وتكون مصنوعة من الكرتون بمقاسات متعددة، يقص بحسبها المقاس المحدد.
من أشهر صناع الأحذية في سوريا والذي اختص بصناعة القبقاب، الشيخ حمزة المخللاتي في مدينة دمشق وقد ورث المهنة عن والده، وما زال يعمل بها حالياً. ومن أشهر صناع الأحذية في مدينة أعزاز "أبو حسين الحموي" بشير شيخ الزور الذي ينحدر من مدينة حماه، ويصنع الشاروخ الحموي.

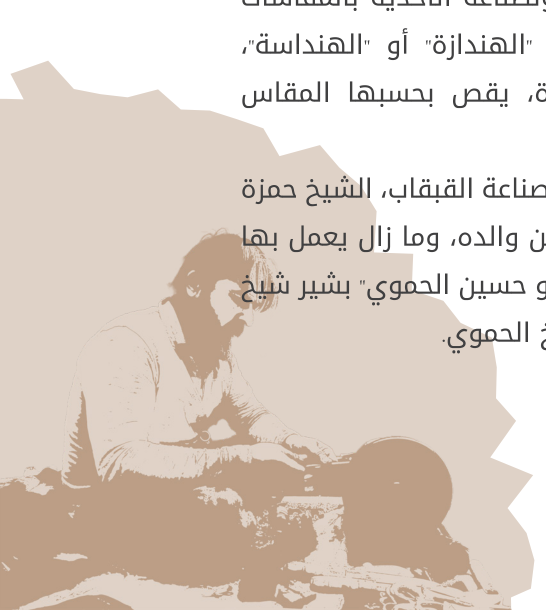

بشير شيخ الزور صانع أحذية من حماة
وكالة رويترز

خبز التنور

من أقدم أنواع الخبز في سوريا، وهي مهنة من موروث ثقافي شعبي جامع للمحافظات السورية وأريافها على وجه التحديد، وسُمّي بهذا الاسم لاستخدام التنور الطيني والحطب في إعداده، ويعد من طحين حبوب القمح الكامل، الأمر الذي يكسبه لوناً مائلاً إلى السُّمرة، ومن الممكن أن يُعدّ أيضاً من أنواع الطحين الأخرى كطحين حبوب الذرة والشعير.

منذ الصباح الباكر تقوم النساء بتجهيز عجينة الخبز من الماء والطحين والقليل من الملح والخميرة، ثم تترك حتى تختمر، ويمكن التأكد من اختمار العجينة من خلال رائحتها، أو الطرق عليها لسماع صوتها، وفي حال اختمارها تُقرّص العجينة أي تُقطّع إلى كرات صغيرة تكفي كل واحدة لمدّ رغيف الخبز، ثم تأتي بعد ذلك عملية رقّ العجين باليدين غالباً أو بالشوبك، وفي هذه المرحلة تكون قد أصبحت تقريصة العجينة دائرية ورقيقة، يلي ذلك مرحلة إبراز المهارة في القدرة على تقليب عجينة الرغيف باليدين في الهواء، وتوضع بعدها على الكارة ثم تلصق على جدار التنور المحمية بشكل جيد، وعند النضج يتم نزع رغيف الخبز باليد ليصبح جاهزاً لتناوله. عادة ما تقوم سيدتان أو أكثر في إعداد خبز التنور، وله أركان أساسية أهمها وجود التنور، الذي يصنع من التراب الأحمر المخلوط بالتبن المكون من بقايا القمح والشعير بعد حصاده أو من بقايا أكياس الخيش، ما يعطي التنور متانة وقوة وقدرة على الاحتفاظ بالحرارة، وفي بعض المناطق تدخل فيه أحجار القرميد بالإضافة إلى الحطب لإشعال النار.

أما للعجينة فيتم استخدام المنخل الدائري لتنقية الطحين، والكارة وهي عبارة عن قرص دائري مصنوع من قطع قماش قديمة مشدودة على بعضها البعض، يوضع عليها قطعة العجين الرقيقة عند إدخالها إلى التنور، كما يستخدم الطست وهو الوعاء المستخدم للعجن، والشوبك وهو عصا سميكة تستعمل لترقيق العجينة، وأخيراً الطبيقة وهي وعاء دائري واسع مصنوع من القش بألوان متعددة، يستخدم لحفظ الخبز بعد إخراجه من التنور.

الجانب الاجتماعي لخبز التنور له أهمية خاصة، حيث يجتمع أثناء إعداد خبز التنور عدد من النساء يتبادلن الأخبار عن القرية وأهلها، ويغنين الأهازيج ويضربن الأمثال الشعبية، كما تحضر رمزية العطاء المأخوذة من القمح،

إذ يُوزّع الخبز من وراء التنور في القرى بشكل مجاني لكل زائر أو عابر سبيل، بينما ينتشر عدد من باعة التنور في الطرقات الرئيسة بين المحافظات، ما يدلّ على استمرار الطلب على هذا النوع من الخبز وأهمية هذه المهنة المتوارثة عبر الأجيال.

تقييم التجربة

تجسّد السطور التالية خلاصة ما لمسه الزوار من مشاركتهم في المهرجان، وما التفت إليه المنظمون بعد سير أيامه، مما يجب وضعه في الحسبان عند التحضير لدورات المهرجان اللاحقة، أو عند تنظيم فعاليات شبيهة في المستقبل القريب. ورغم أن الآراء التي سترد بعد قليل منتقاة بعناية وسُجّلت دون غيرها، فإنها تعبّر عن آراء زوار وفاعلين كثيرين أدلوا بها للصحفيين أو لجامعي المعلومات الخاصة بهذه اليوميات، أو تحدّثوا بها خلال أحاديث اعتيادية على هامش فعاليات وأنشطة المهرجان، لكن حظّ هذه الآراء المسجلة كان أكبر من حيث التكثيف والاختصار وإصابة الهدف من غيرها في تقييم المهرجان سلباً أو إيجاباً.

"جبت الولاد لحتى يغيروا جو، ويطلعوا من جوّ الحرب"

جمهور مهرجان بلد هم سكان أعزاز من أهل البلد والمجتمعات الهاربة إليها، وبطبيعة الحال تشكّل النساء والأطفال قسماً وازناً من هذا الجمهور يتجاوز النصف بكثير، وتحتاج النساء في المجتمعات المحلية السورية كي يحضرن مهرجان (أيّ مهرجان) إلى أن يكون موقع المهرجان بوسط المدينة قريباً، وإلى وجود أماكن مخصصة لهن، وهما الأمران اللذان وُفّق بهما المنظمون إلى حد ما، إضافة إلى اختيار مساحة مفتوحة له وإشراك السلطات المحلية خلال التحضير للمهرجان وتأمين المكان، ما أتاح الفرصة لحضور أعداد متزايدة من النساء رفقة أطفالهن، وقد وصفت إحدى الزائرات تجربتها في القدوم إلى المهرجان بسعادة أولادها ومساعدتهم على لمس جوانب سارة في الحياة: "جبت الولاد لحتى يغيروا جو، ويطلعوا من جو الحرب".

"المهرجان أعطانا دوراً أكبر كنساء، وساهم بتعزيز دورنا في المنطقة"

لم يقتصر وجود النساء على زيارة مهرجان بلد والاستمتاع بفعالياته، بل شمل العديد من الجوانب في المهرجان عبر إشراك النساء في عمليات التخطيط والتنفيذ، وإتاحة الفرصة لهن بالمشاركة في الفعاليات لعرض مشاريعهن الخاصة التي يرتبط العديد منها بالتراث المادي واللامادي، كما في الصناعات الغذائية المتمثلة بطيف واسع من ألوان المونة التقليدية، وقد تحدثت العديد من النساء اللواتي شاركن في فعاليات المهرجان لوسائل الإعلام عن مشاريعهن، وبدَوْنَ متحمسات في الخطوات الأولى لهن كسيدات أعمال يروجن لمنتجاتهن على مجال واسع، ويخرجن من طبيعة عملهن في بيع بضاعتهن في الدوائر الضيقة من المعارف والأقارب، الأمر الذي لخصته إحداهن بقولها: "المهرجان أعطانا دوراً أكبر كنساء".

"هذا المهرجان وطن"

كان لإشراك المركز الثقافي العربي في مدينة أعزاز وقادة مجتمعين في عمليات التخطيط والتنفيذ، كان له أثراً على أكثر من مستوى أحدها ظهور المهرجان وكأنه بإدارة عُفلية، خاصة أنه عمل بالشكل الشعبي دون تبني المهرجان من قبل جهة واحدة. كما كان لذلك أثراً في التحضير لبعض الفعاليات بشكل توعوي تعريفي مثل المسابقات والأغاني الشعبية، في حين جرى انتقاء أنواع من التراث الثقافي العابرة للمجتمعات السورية، ما دفع الزوار إلى التشارك في تبادل الفرح وتجربة الطقوس وعيشها، وشكّل رابطاً بين أنواع التراث وممثليها من كافة المناطق، وحدا بأحد الزوار لاستعمال المجاز في وصف المهرجان بأنه: "وطن".

"وجوه الناس فرحانة"

دعا كثيرون من الزوار من خلال تعليقاتهم إلى تكرار التجربة وتطويرها، واستنساخ تجارب مشابهة تساعد في بث الفرح الجماعي والاحتفالي في المناطق المحررة: "طفرنا من العيشة، من الخيمة والتهجير.. جينا لحتى نرتاح نفسياً"، "المهرجان طلّعنا من العيشة اللي ما يعرف فيها غير الله"، "مقاومة الموت لا تكون إلا بالفرح"، "العرس مو هيك، هذا أحلى من العرس"، "شيء حلو، لازم يتكرر مرة ثانية".

فرغم ارتباط كافة الأنشطة والفعاليات التي احتضنها المهرجان بحاجات عضوية ونفسية، كما في ارتباط المونة بتأمين الغذاء في فصل الشتاء، أو ارتباط العراضة والموليا بالأعراس، أو ارتباط صنع السلالم بجني محصول الزيتون، رغم كل ذلك فإن تنفيذها يرتبط بعادات ومهارات موروثة تشترط السعادة والمشاركة في التجربة، وبذلك يصبح ذلك التراث شرطاً للحاجات التي يرتبط بها، كما يشترط المشاركة بالتجربة بسعادة حتى إذا انفصل عن تلك الحاجات، كما في بعض أنواعه التي حضرت في المهرجان، والتي ركّز عليها لأنها تُدخِل الفرح على نفوس الزوار.

"أزور المهرجان لحتى أتذكر مدينتي وأهلي"

وُفّق المنظمون في اختيار الضيافة من المأكولات الشعبية (الحلويات) الخاصة بالمجتمعات المشاركة، واختيار أنواع من التراث المادي واللامادي مرتبطة بوجدان الناس، وتصميم شكل الجلوس في المهرجان بالاستناد للمورث الشعبي، وإتاحة بعض المنتجات بشكل مجاني للجميع، وعرض رسومات عن معالم أثرية من المناطق التي شاركت مجتمعاتها في المهرجان، ما خلق انطباعاً بالحميمية لدى الزوار وجعل أحدهم يقول: "أزور المهرجان لحتى أتذكر مدينتي وأهلي".

وفي المقابل رُوعي الجانب الاقتصادي من المهرجان مثل التنسيق مع القطاع الخاص بفقرة المسابقات، وإتاحة المجال للباعة المتجولين أن يعرضوا منتجاتهم أسوة بالمشاركين من أصحاب المهن التراثية والمشاريع الصغيرة، رغم أن مشاركتهم جاءت محدودة ومتأخرة.

"الاستفادة من تجارب سابقة لتنظيم المهرجانات"

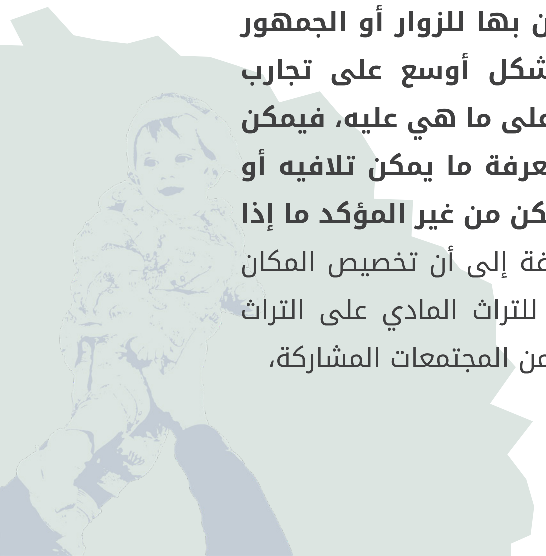

بالطبع كان على المنظمين وضع آلية يتيحون بها للزوار أو الجمهور المستهدف تقييم المهرجان، والاطلاع بشكل أوسع على تجارب سابقة في تنظيم المهرجانات، لكن والحال على ما هي عليه، فيمكن أن يساعد استمزاج آراء قسم من الزوار بمعرفة ما يمكن تلافيه أو إضافته في دورات لاحقة أو أنشطة مثيلة، لكن من غير المؤكد ما إذا كانت تلك الآراء كلها صالحة للتطبيق: فإضافة إلى أن تخصيص المكان والزمان لكل نوع من التراث جاء مشتتاً ومغلباً للتراث المادي على التراث اللامادي، فهناك ضرورة التواصل ودعوة وجهاء من المجتمعات المشاركة،

واختيار مساحة أكبر تتناسب مع حجم الفعاليات وعدد الزوار، وتنظيم المكان بشكل أفضل بحيث يستطيع الزوار مشاهدة كافة الفعاليات، وتحديد ساعات افتتاح المهرجان بشكل يتناسب مع الفئات المجتمعية في المنطقة، واختيار موعد المهرجان بشكل مسبق يتناسب مع الطقس، والعمل على جعل موقع المهرجان سهل الوصل لذوي الإعاقة، وتوفير مساحات لأنشطة مخصصة للأطفال مرتبطة بالتراث، وتوفير مقدمة تعريفية عن نشاطات كل يوم والمجتمع المستهدف فيه، ونصب شاشة لعرض معلومات عن التراث الثقافي المعروض للمجتمعات المشاركة، وصناعة مجسمات لمعالم أثرية من المجتمعات المشاركة، وتوسعة مشاركة المهن التراثية وإضافة عدد أكبر من المهن، وتضمين مجتمعات سورية أكثر كلما أمكن، وتنظيم المسابقات بحيث يكون لها وقت ومكان محددين أو أن يقوم المقدم بالتجوال في المهرجان، وتخصيص مرافقين للزوار في كل قسم للتعريف بالتراث المعروض، وتوسعة الكادر البشري واستقطاب متطوعين للعمل في المهرجان، وتعزيز مشاركة الشباب من طلاب الجامعات في المهرجان.

"يجب التفكير أكثر ببعض الجوانب"

فالتنسيق مع الجهات والأفراد المقدمين للفقرات كان متأخراً، كما أن اختيار المهن التراثية والصناعات اليدوية والتراث الفني والمأكولات الشعبية جاء بشكل يتناسب مع موارد المبادرة المالية والعلاقات وتوفر أنواع التراث في المنطقة وليس وفق منهجية وضعها المنظمون، كما أثّر خلط فقرات الغناء الثوري بالغناء الشعبي على خصوصية الأخير، بينما لم يكن التخطيط للتغطية الإعلامية كافياً ولم تصل إلى كافة أوقات المهرجان.

في حين كان على المنظمين أن يختاروا أكثر من شخص لإجراء المسابقات لكافة المجتمعات للمساعدة في لفظ المفردات بشكل أفضل، وكان عليهم اختيار حجم أكبر للوحات والرسومات عن المعالم الأثرية، والعمل على الترويج للمهرجان بشكل أفضل وأوسع وتوجيه دعوات خاصة وعامة للزوار،

أن يُكتب عن مهرجان سوري في المناطق المحررة يأخذ أبعاداً متنوعة ومركبة، ترتبط في جزء منها بمعنى ولادة مهرجان في هذه المناطق، وما يمكن أن يعنيه للمنظمين والجماعات المحلية التي ينطلق من تراثها ليقدمه لها، كذلك يتصل بحقوقهم في التجمع وإعادة إحياء التراث والتفكير فيه وتطويره، فالتراث وفق ما يقال "يشكلنا بقدر ما نشكله".